المنجزات العمر انية للدولة الفاطمية في المغرب الأوسط

(مدينة المسيلة أنموذجا)

Architectural achievements of the Fatimid state in central Maghreb.

(Al-Masila city as a model)

د/- صليحة رحلي *

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة- الجز ائر wanissa.rahli@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/05 تاريخ القبول: 2024/03/24 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

يتناول موضوع المقال المنجزات العمرانية للدولة الفاطمية في المغرب الأوسط، حيث وجدت فيه مختلف التيارات المذهبية والسياسية مكانا مناسبا للفارين بمذهبهم وأفكارهم من السلطة العباسية في بغداد، وبذلك أصبحت البلاد أرضية خصبة لنشر تلك الأفكار وتبلورها مما سمح بظهور دويلات مستقلة في فترات تاريخية مختلفة سواء كانت ولاية تابعة للدولة العباسية في المشرق أو منفصلة عنها تتمتع بالاستقلالية والتسيير الذاتي لشؤون الحكم، ومن بين هذه الدويلات نذكر الدولة الفاطمية التي جعلت من بلاد المغرب الأوسط نواة أولى لنشر مذهبهم الشيعي بمساعدة القبائل البربرية خاصة قبيلة كتامة، وبالرغم من الثورات التي هددت استقرارا لدولة إلا أنها استطاع التصدي لها واخضع القبائل البربرية المتمردة على الدولة، كما عملت الدولة على تثبيت أركانها في البلاد وانتهجت عدة سياسات كانت تهدف إلى إعطاء الاستمرارية للفاطميين في المنطقة، من بينها تأسيس مجموعة من المدن في أماكن مختلفة من البلاد من أجل إحكام سيطرتها أكثر على المنطقة وكبح تمرد القبائل البربرية الثائرة على سلطانهم، حيث أصبحت هذه المدن فيما بعد عواصم كبرى في المنطقة ومن بين هذه المدن نذكر تأسيس مدينة المسيلة في المغرب الأوسط كقاعدة عسكرية لمنع تمرد تلك القبائل، وقد اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع المعلومات وانتقائها وهو منهج يغلب عليه الوصف وتقوم عليه كل الدراسات التاريخية والذي يرتكز بالأساس على وصف الوقائع والأحداث التاريخية وقد وظفته في وصف مدينة المسيلة، كما اعتمدت على المنهج التحليلي بهدف تحليل الأحداث المختلفة وتفسيرها من أجل معرفة أسباب اختيار الفاطميين لموقع مدينة المسيلة.

كلمات مفتاحية: بلاد المغرب؛ الفاطميين؛ القبائل البربرية؛ القبائل الزناتية؛ كتامة؛ المسيلة.

المؤلف المرسل: صليحة رحلي الإيميل wanissa.rahli@yahoo.com *

Abstract:

The history of the countries of the Maghreb has gone through Important historical events that made it the headquarters of the various sectarian and political, currents that found the appropriate place for those fleeing with their gifts and ideas from the Abbasid authority in Baghdad, and fir that the country became a fertile ground from the dissemination and crystallization of these ideas which allowed the emergence of independent states in different historical periods, whether it was a state belonging to the Abbasid state in east or separate from it, enjoying independence and the coming management of the affairs of government ,And among them are the mini-states of the Fatimid state, which made the Middle Maghreb, the first nucleus for spreading their shirt gift with the help of the Berber tribes, especially the Gautama tribe ,the state also worked to consolidate its pillars in the country and adopted several policies aimed at giving continuity to the Fatimid's in controlling the country Maghreb .Among these policies was the establishment of a group of cities In different parts of the country in order to tighten their control more aver the region and to cub the rebellion of the Barbarian tribes against their authority, as the cities later became major capitals in the region and among the cities, we mention the fondation of the city of M sila in central Maghreb.

Keywords: barbarian tribes; ketamah; Masila; the Fatimids; the Maghreb; Zenat tribes .

- **مقدمة**

نتيجة التطورات التي عرفتها الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، والتي توجت بنجاحها في تثبيت دعائم الحكم في القيروان بواسطة زعماء القبائل الكتامية، بالإضافة إلى بسط نفوذها الشيعي في أرجاء عديدة من بلاد المغرب بما فيها المغرب الأوسط، وتأسيس الدولة الفاطمية والذي كان له أثر كبير في إنشاء العديد من المدن في بلاد المغرب في هذه الفترة كالمهدية والمسيلة، وهي تمثل المستوى التطبيقي للفكر الإسلامي في ميدان العمران، كل هذه المعطيات جعلت المدن تختلف وتتنوع باختلاف وظائفها وظروف إنشائها ومواقعها ومواضعها، كما هو الحال في تأسيس مدينة المسيلة والتي تعتبر ثمرة الجهود الإسماعيلية المتمثلة بالخلافة الفاطمية في إحداث حركة تمدين في المغرب الإسلامي، رغم المدة القصيرة المقدرة بأقل من خمسة وستين سنة(296-362هـ/909-973م) التي قضتها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وبالتالي أدت مدينة المسيلة دورا عسكريا هاما في بداية تأسيسها كحاجز أمني يمنع هجمات

القبائل الزناتية وتقدمها في المنطقة كما ساهمت في القضاء على عدة ثورات في إقليم الحضنة ومع مرور الوقت برزت المدينة في ميادين متعددة وأصبح لها دورا اقتصاديا وعلميا كبيرا في المغرب الأوسط. فما هي أسباب اختيار الفاطميين لإقليم الحضنة كمجال حيوي لتأسيس مدينة المسيلة ودورها في ضبط تحرك الجماعات المتنقلة التي كانت في أغلبها إباضية؟هل أدت فعلا مدينة المسيلة الدور الذي تأسست من أجله أو أصبح للمدينة ادوار أخري بعد عملية البناء والتعمير؟

1. قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:1

1.1 نسب الفاطميين:

ينتسب الفاطميون إلى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدي (ابن الخطيب، 1964، ص.50)، بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد اختلف المؤرخون في صحة نسب الفاطميين فمنهم من يدعم ذلك، وبعضهم الآخر يطعنون في هذا النسب، ويرون أن عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح (القلقشندي و آخرون، د.ت، ص.118)، فقضية النسب الفاطمي لا زال يحيط بها الكثير من الغموض، لعدم اتفاق المؤرخين حول نسبهم كما سبقت الإشارة، وبقي ذلك موضع خلاف وجدال، ويرجع ذلك إلى الاختلاف السياسي والمذهبي الذي ساد بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا امتناع الفاطميين مدة طويلة من الزمن عن الإعلان عن أنسابهم، بالإضافة إلى إخفاء الأئمة الفاطميين لأسمائهم حسب ما أشار إليه سهيل طقوش (طقوش، 2007، ص.53).

وتذكر المصادر التاريخية أن العباسيين حاولوا الطعن في هذا النسب عندما بعث المعتضد العباسي (279-289هـ/892م-902م) بكتاب إلى محمد ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض على عبيد الله المهدي عندما سار إلى المغرب ، كما قام الخليفة العباسي القادر بجمع عدد من العلماء والأئمة والقضاة، وطلب منهم كتابة محضر طعنوا فيه بالنسب الفاطمي(ابن خلدون، 2000، ص.449)، وأعلنوا فيه أن الحاكم وسلفه أدعياء الخوارج ولا نسب لهم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بذلك ينتفي نسبهم العلوي، والانتماء إلى آل البيت، ثم أمر أن يوزع هذا المحضر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويذهب ابن تغري بردي إلى القول أنهم ينسبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي، وأنهم إخوان الكافرين (ابن التغري بردي، 1992، ص.330-231)، كما تذكر المصادر التاريخية أن المعز لدين الله الفاطمي لما قدم من إفريقية إلى مصر خرج للقائه عدد كبير من أشراف مصر:(فسأله أحدهم إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعز: سنعقد مجلسا ونرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر، جمع الناس في مجلس عام، وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد فقالوا: لم يبق، فسل سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر فوقهم ذهبا كثيرا وقال: هذا نسبي، فقالوا جميعا: سمعنا وأطعنا) (عويس، 1985، ص.15) وهناك

من يقول أن عبيد الله المهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، ويرد أصله إلى الفرس والمجوس، وتصفه أحيانا بعض المصادر بأنه ابن يهودي (المقريزي، 1997، ص.26).

ورغم الاختلاف القائم بين المؤرخين حول صحة نسب عبيد الله المهدي قبل استلامه الدعوة الفاطمية، إلا أنهم اتفقوا على أن اسمه هو عبيد الله المهدي، وعلى هذا الأساس أطلقت المصادر التاريخية على الدولة الفاطمية اسم "الدولة العبيدية" نسبة إلى أول خلفائها (ابن الخطيب، 1964، ص.46)، وبالمقابل نجد بعض المصادر التاريخية تؤكد نسب عبيد الله المهدي، وترجعه إلى الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ابن خلدون، 2000، ص.449)، ويذكر عبد الحليم عويس أنه في فترة من الفترات كاد أن يتغلب الرأي القائل بصحة النسب الفاطمي، وكادت الآراء التي روجت لهم تتغلب عن غيرها لشهرة قائليها (عويس، 1985، ص.03)، هذا الاختلاف جعل من القضية أكثر تعقيدا وغموضا مما جعل الباحث في مثل هذه المواضيع يجد صعوبات في إدراك الحقيقة لكثرة التناقض القائم بين المؤرخين حول هذه المسألة (طقوش، 2007، ص.54).

2.1 الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب:

يعتبر التشيع حسب اعتقادهم هو مبدأ يقوم على حب آل البيت من أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقضي بحصر الإمامة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصا ووصية، ولا تخرج الإمامة من أولاده بعده، وهذه الجماعة التي ناصرته عرفت بالشيعة وهم الذين شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخصوص، وبايعته بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يرون أنهم أحق بالأمر واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده (الشهرستاني، 1992، ص.144)، ويرون أن الشيعة هم دعاة أهل البيت وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش حسب ابن خلدون (ابن خلدون، 2000، ص.214)، انقسم الشيعة إلى فرقتين هما: فرقة الإثني عشرية بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق وولده على سلسلة واحدة إلى تمام الإثني عشر، وهو محمد المهدي والذين زعموا أنه دخل سردابا، وهم في انتظاره، أما الفرقة الثانية وهي الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو الابن الأكبر له، بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (الشهرستاني وابن خلدون، 1992، ص.170)، وينتسب إليها الخلفاء الفاطميون الذين أقاموا الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، وقد اختارت هذه الفرقة مدينة سلمية بالشام مركزا لدعوتهم، ولجلب الأنصار والمؤيدين للمذهب الشيعي، ومنطلق لدعاتهم لنشر الدعوة الإسماعيلية في أنحاء العالم الإسلامي والمناطق البعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بغداد (الغنيمي، 1994، ص.49)، ومرت هذه الدعوة حسب سهيل طقوش بمرحلتين في بداية انطلاقتها: مرحلة الإعداد العقائدي النظري تولاه كل من الداعيتين أبو سفيان والحلواني، ومرحلة الدور العملي الذي قام به الداعي أبو عبد الله الشيعي (طقوش، 2007، ص.63)، ففي المرحلة الأولى لا يمكن اعتبار اختيار الشيعة الإسماعيلية لبلاد المغرب الإسلامي كمهد لنشر مذهبهم وأفكارهم الشيعية من محض الصدفة بل أن دخول أبا سفيان

والحلواني إلي بلاد المغرب كان مخطط له بدليل ما قاله لهم جعفر الصادق للداعيين عندما بعثهما(بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر) (ابن خلدون، 2000، ص.41)، وكان ذلك سنة(145هـ/762م) وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان (القاضى النعمان، 2005، ص.23)، وكان دخولهم إقليم إفريقية في الوقت الذي كان فيه الوالي محمد بن الأشعث يحاول إرجاع الهدوء للمنطقة التي كانت تعيش حالة من الاضطرابات التي أثارتها حركة الخوارج في المنطقة (الدشراوي، 1994، ص.78).

ولم تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات وافية عن أصل أبي سفيان والحلواني ما ذكرته لا يزيد عن إشارات بسيطة جاء فيها أن أبا سفيان نزل في قرية زراعية في ناحية مرماجنة بإفريقية تسكنها قبيلة هوارة (ابن حوقل، 1992، ص.84) يقال لها تالا تقع في الشمال الغربي من مدينة تونس الحالية (طقوش، 2007، ص.64)، وكان له من الفضل والعبادة حيث كان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت منهم يأخذونه عنه، وبشرهم بقرب ظهور المهدي المنتظر، وأصبحت مرماجنة بتأثيره دار هجرة للشيعة بفضل موقع المدينة التجاري يذكر القاضي النعمان أن أبا سفيان:(لما نزل بتالا بنى مسجد وتزوج امرأة، واشترى أمة وعبدا، فيقال أنه كان يعمل مع عبده ويأمر امرأته فتعمل مع أمتها) (القاضى النعمان، 2005، ص.23)، وبذلك اعتنقت مذهبهما أعداد كبيرة من أهل مرماجنة والأربس بلدة بإفريقية، ونفطة، وأما الحلواني فتقدم حتى وصل إلى سوجمار، فنزل بموضع يُعرف بالناظور وهو حصن في جبال بجاية المنيعة (ابن خلدون، 2000، ص.176)، وقد اشتهر بفضله وعلمه وعبادته، وجلب إليه عدد كبير من القبائل، وتشيع كثير منهم على يديه من قبائل كتامة، ونفزة تقع بالقرب من مدينة طبرية التونسية على ساحل البحر (الحموي، د.ت، ص.296) وسماتة من بطون نفزارة، فيكون حينئذ بين دخولهما بلاد المغرب ووصول الداعي أبو عبد الله الشيعي مائة وخمسة وثلاثون سنة يذكر المؤرخون أن وصول الشيعي إلى بلاد المغرب سنة (280هـ/893م) (الدشراوي، 1994، ص.78)، وتوفي أبو سفيان قبل قدوم أبي عبد الله الشيعي، أما الحلواني فقد عاش دهرا طويلا، حتى لحق به الداعي أبو عبد الله الشيعي ويذكر القاضي النعمان أن الحلواني ترك ابنة يقال لها أم موسى، ومات بالناظور من أرض سوجمار أين يوجد قبره، ومسجده (القاضى النعمان، 2005، ص.24)، وقد ساعد أبو سفيان والحلواني على سرعة انتشار دعوتهما بين القبائل البربرية من الكتاميين كثرة عددهم (الغنيمي، 1994، ص.53)، ومما لاشك فيه أن النشاط الذي قام به الداعيان في نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب قد مهد الطريق لمن جاء بعدهما ليجد الأرضية ملائمة لبذر بذور الدعوة الشيعية، وعليه فإن المهمة التي أوكلت إلى الداعي أبو عبد الله الشيعي لم تكن سوى تتويجا لمرحلة سبقت (طقوش، 2007، ص.65)، وتكملة للمرحلة القادمة من الدعوة التي تتطلب رجلا قادرا على تكوين القوة العسكرية التي تساعد على إقامة دولة قوية واسعة الأطراف، لا دولة إقليمية مثل دولتي الأدارسة وبني رستم، لأن هدف هؤلاء الدعاة كان القضاء على

الخلافة العباسية لتحل محلها الخلافة الفاطمية وتحكم العالم الإسلامي (الغنيمي، 1994، ص.53)، ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الدعوة الإسماعيلية قد وجدت ببلاد المغرب منذ زمن طويل قبل قدوم أبي عبد الله الشيعي بمائة وخمسة وثلاثين سنة، وأصبح لها أتباع خاصة من قبيلة كتامة، وبدأت نوايا الشيعة تظهر في تكوين كيان سياسي قوي يحكم العالم الإسلامي، أما عن المرحلة الثانية من الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب فكانت بقيادة أبي عبد الله الشيعي الذي انتقلت الدعوة على يده من مرحلة الإعداد النظري إلى الدور العملي وبناء الدولة (طقوش، 2007، ص.65).

وبطبيعة الحال تحدثت العديد من المصادر التاريخية التي أرخت لبلاد المغرب عن مراحل قدوم الداعي أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب، ونشر المذهب الشيعي بين القبائل البربرية، ومحاولته تأسيس دولة فاطمية، وذلك بالقضاء على الدويلات التي نشأت في المغرب كدولة الأغالبة في المغرب الأدنى، والدولة الرستمية في المغرب الأوسط، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى (ابن عذاري، 1983، ص.124-125)، ولقد أخذ الداعي أبو عبد الله الشيعي أسرار الدعوة الشيعية على يد ابن حوشب صاحب الدعوة الشيعية الإسماعيلية باليمن (القاضى النعمان، 2005، ص.06)، الذي أرسله إلى بلاد المغرب بعدما علم بوفاة الحلواني وأبي سفيان، وقال له(إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك) وهذا حسب ما ذكره ابن الأثير (ابن الاثير، 2006، ص.450)، وأما عن كيفية مجيئه إلى بلاد المغرب تذكر لنا المصادر التاريخية أن أبا عبد الله الشيعي انضم إلى قافلة الحجاج اليمنيين، وخرج معهم إلى مكة المكرمة، وكان ذلك في سنة (279هـ/893م)، فلما وصل إلى مكة (ابن خلدون، 2000، ص.451) المكرمة اجتمع مع حجيج كتامة، ولا شك لم يكن ذلك من باب الصدفة لأن الجماعة تضم رجالات كتامة ورؤسائهم، وفيهم من تلقى المذهب الشيعي على يد الحلواني ومن أهم بطون كتامة (ابن أبي دينار، 1986، ص.51)، وتقرّب إليهم بما أظهره لهم من علم وفقه وزهد (ابن الاثير، 2006، ص.450)، واكتسب صداقتهم وطلب أن يرافقهم في طريق عودتهم إلى بلاد المغرب زاعما أنه يريد مصر لطلب العلم، إلا أن الكتاميين استطاعوا إقناع الداعي أبو عبد الله الشيعي أن يصحبهم إلى بلاد المغرب (القاضى النعمان، 2005، ص.31-32).

توجه أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب رفقة الكتاميين، ولم يظهر لهم مراده، وفي أثناء الطريق كان يسألهم عن أخبار بلادهم وقبائلهم (ابن خلدون، 2000، ص.42)، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية فقالوا له:(ما له علينا طاعة ولا حكم أكثر من أن نقول إنه سلطان، قال: وكم بينكم وبين موضعه؟ قالوا: مسيرة عشرة أيام...قال: فأنتم قبيلة واحدة؟ قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثم نفترق قبائل وأفخاذا وبيوتات...قال: أمركم متفق؟ قالوا: لا نحن نحارب بعضنا بعضا ثم نصطلح بعد القتل، ويصالح القوم منا قوما ويحاربون آخرين...قال: فإن دهمكم غيركم تجتمعون؟ قالوا: ما رام منا أحد قط، قال: ولم؟ قالوا: لكثرة عددنا وامتناع بلدنا...) (القاضى النعمان، 2005، ص.30-31) وقد تأكد من أخبار القبائل حتى صح

عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا، ولا أشد شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة (ابن عذاري، 1983، ص.125)، وكان غرضه هو معرفة أحوال البلدان والعشائر، والحصول على بعض المعلومات حول وضعهم السياسي والاجتماعي، وكل ما من شأنه أن يفيد مهمته السرية، ولم يكشف عن نواياه الحقيقية (الدشراوي، 1994، ص.84)، وفي سنة (288هـ/901م) وصلوا إلى أرض كتامة (القاضى النعمان، 2005، ص.36) فتنازعوا وتنافسوا فيمن تكون عنده إقامة الداعي أبو عبد الله الشيعي إلى أن كادت أن تكون بينهم فتنة حسب قول ابن دينار (ابن أبي دينار، 1986، ص.51).

وبطبيعة الحال وجد الداعي أبو عبد الله الشيعي الأمور ممهدة له، لأنه وجد الدعوة الإسماعيلية قد انتشرت بين القبائل البربرية من قبل بفضل أبي سفيان والحلواني، كما انتشر التشيع من قبل في بلاد المغرب عن طريق الأدارسة مما أدى إلى سهولة مهمة الداعي أبو عبد الله الشيعي (السنوسي، 2016، ص.187)، وعند وصوله إلى موضع إيكجان ناحية بالمغرب من بلاد البربر (الحميري، 1975، ص.71) الذي تسكنه قبائل بني سكتان من بطون كتامة (ابن خلدون، 2000، ص.42)، وفيها فج الأخيار فقال لهم ما سمي هذا الفج إلا بكم، وأن اسم كتامة مشتق من الكتمان، والكتمان من شروط الدخول في الدعوة، قد بدأ واضحا تأثير الداعي أبو عبد الله الشيعي في مجتمع كتامة، بما أظهره من علم وأخلاق حسنة وحسن المعاملة، مما أدى إلى التفاف عدد كبير من القبائل حوله على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية (القاضى النعمان، 2005، ص.37)، فيذكر ابن الأثير:(وأتاه البربر من كل مكان وعظُم أمره) (ابن الاثير، 2006، ص.451)، وبذلك أحرز الداعي أبو عبد الله الشيعي من النجاح ما جعل شهرته تتعدى إيكجان، إلا أنه لقي معارضة داخلية من قبل بعض زعماء القبائل الكتامية الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم في المنطقة (طقوش، 2007، ص.68)، خاصة بعد كشفه عن عقيدته الشيعية، لأنهم ظنوه مجرد رجل صالح يدعو إلى الدين والخير (القاضى النعمان، 2005، ص.37)، وبدأ هؤلاء يستعرضون ما قاله له حريث الجميلي:(ما كان أطول سفرنا معك ونحن في غفلة عن مثل هذا منك)(المقريزي، 1996، ص.57).

وبذلك أثارت دعوته ردود أفعال مختلفة بين القبائل الكتامية، لأن الدخول في الدعوة لم يبلغ في تلك المرحلة درجة الإجماع حسب قول سهيل طقوش ، ومع ذلك فاعلان الداعي أبو عبد الله الشيعي للكتاميين أنه صاحب البذر الذي ذكره لهم أبو سفيان والحلواني(طقوش، 2007، ص.68) لم يشكل أي عقبة جدية في مسيرة الدعوة الشيعية،عند بعض قبائل كتامة بل ازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره، لما أظهره لأهل المغرب من علم وفضل (سرور، د.ت، ص.23)، ومع ذلك فهذا الانتشار الواسع الذي عرفته الدعوة الإسماعيلية أدى إلى تفرق البربر والقبائل الكتامية (المقريزي ت.، 1996، ص.58)، فيذكر ابن الأثير أن الأمر وصل إلى أن:(تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر) (ابن الاثير، 2006، ص.451)، لأن المجتمع الذي أقامه الداعي أبو عبد الله الشيعي أثر على النظام القبلي السائد بين كتامة وغيرها من القبائل البربرية، وأصبحت السلطة فوق سلطة مشايخ القبائل، وبذلك هدد سلطتهم داخل القبيلة،

نتيجة تحويله المصالح القبلية إلى مصالح عامة تنصرف إلى غير قبيلة داخل المجتمع الشيعي مما تسبب في حدوث تصادم بين مختلف بطون كتامة (طقوش، 2007، ص.68)، وقد أرادت بعض القبائل قتله، فما كان على الداعي أبو عبد الله الشيعي إلا الاختفاء (ابن الاثير، 2006، ص.451) ثم الرحيل إلى تازروت وهي قلعة جنوبي شرقي جبل إيكجان (الدشراوي، 1994، ص.101)، فزحفت عليه القبائل البربرية وحدث بينهما حروب، انتصر فيها عليهم، فاستقام له أمر البربر عامة، وكتامة حسب قول المقريزي (المقريزي ت.، 1996، ص.58)، ولم يكتف الداعي أبو عبد الله الشيعي من نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، بل أخذ يعمل على بسط نفوذه في المنطقة، وتمكن أبو عبد الله الشيعي من الاستيلاء على عدة مدن بالمغرب (سرور، د.ت، ص.24).

وبطبيعة الحال أدى ذلك إلى اتساع نطاق الدعوة الشيعية، وكثرت القبائل البربرية التي انضمت إليه، وكان من الطبيعي أن يخلف ردود أفعال عنيفة لدى بعض أصحاب السلطة في بلاد كتامة، ولدى صاحب إفريقية، مما دفعه إلى السعي إلى بعث حركة عدائية في بلاد كتامة ضد سلطة الأغالبة (طقوش، 2007، ص.68)، سبب الظلم الذي مارسته على القبائل البربرية، فاستجابت بعضها للداعي أبو عبد الله الشيعي، الذي رأوا فيه المخلص من ظلم وسيطرة الأغالبة عليهم، وبدأ الصراع مع الدولة الأغلبية، مما ترتب عنه سقوط عدة مدن إفريقية في يده، وانتشر التشيع بين كبار رجال الدولة، وانقسم أفراد البيت الأغلبي على أنفسهم، وفي تلك الأثناء توفي إبراهيم بن الأغلب بن سالم، وقتل ابنه أبو العباس، فتزعزع كيان بني الأغلب، وكان الناس قد سئموا من حكمهم (مؤنس، 2004، ص.143)، بالإضافة إلى الاضطرابات الداخلية التي عانت منها الدولة الأغلبية جعلتها عاجزة عن التصدي للقوة الإسماعيلية، عند تولي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على رأس الدولة الأغلبية حدثت معارك كثيرة بينه وبين الداعي أبو عبد الله الشيعي، انهزم فيها زيادة الله، فاستغل الداعي أبو عبد الله الشيعي هذا الانتصار واستولى على مدينة طبنة سنة (293هـ/906م) (طقوش، 2007، ص.69-72)، والتي تعتبر من أقرب المدن المحصنة التي يتعين فتحها، وأشد مناعة، فهي قاعدة الزاب، بالإضافة إلى أنها من أغنى المدن الأغلبية بعد القيروان، ونظرا لأهميتها عيّن عليها زيادة الله عددا كبيرا من كبار رجال دولته للسهر على إدارتها وحمايتها (الدشراوي، 1994، ص.133)، فقد عيّن عاملا عليها حاجبه الحسن بن أحمد بن نافذ يذكر: أن الداعي أبو عبد الله الشيعي قام بمحاصرة طبنة وأحاط بها من كل الجهات،حيث استطاع دخول حصنا أوليا مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة، مما دفع بعاملها أبو المقارع من طلب الأمان فأمنه (القاضى النعمان، 2005، ص.107-108).

ولما استولى الداعي أبو عبد الله الشيعي على مدينة طبنة حرص على كسب ود أهلها، الذين كانوا في معظمهم يمارسون التجارة فلم يلحق بهم الأذى (الدشراوي، 1994، ص.133)، ثم عيّن عليها عاملا شيعيا، وهو يحي بن سلمان، وانصرف بالعساكر إلى إيكجان ومعه أبي المقارع وأصحابه، وأنزلهم عنده

(القاضي النعمان، 2005، ص.109)، ثم قام بالاستيلاء على بلزمة، وبسقوط هاتين المدينتين يكون الداعي أبو عبد الله الشيعي والكتاميون قد نجحوا في فتح ثغرة في الحصون الغربية التي تقوم على حماية إفريقية (طقوش، 2007، ص.72)، وبالتالي السيطرة على بلاد الزاب كلها، ثم توالت الانتصارات وتمكن أبو عبد الله الشيعي من الاستيلاء على باغاية، وأصبح الطريق مفتوحا إلى رقادة التي دخلها سنة (296هـ/909م) (القاضي النعمان، 2005، ص.150)، لم يبق أمام الداعي أبو عبد الله الشيعي سوى العقبة الأخيرة، وهي دخول الأربس، وبعد ثلاث محاولات تمكن خلالها من دخول المدينة (طقوش، 2007، ص.73)، وكان ذلك سنة (296هـ/909م)، وهذه المدينة هي مفتاح دخوله القيروان العاصمة السياسية للبلاد، مما أدى بزيادة الله إلى التعجيل بالرحيل إلى مصر، ودخل الداعي أبو عبد الله الشيعي القيروان (الغنيمي، 1994، ص.60)، وافتتح المدن وملك البلاد حسب قول ابن حماد (ابن حماد، د.ت، ص.19)، وأدى ذلك إلى زوال ملك بني الأغلب بإفريقية، وبالمقابل امتد نفوذ الفاطميين في أجزاء عديدة ببلاد المغرب، حتى أصبحوا أصحاب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة في الجهة الغربية من مدينة القيروان، وبعد سقوط دولة الأغالبة، ودخول أبي عبد الله الشيعي إلى القيروان، قام باستدعاء الإمام الفاطمي المستتر عبيد الله المهدي في سلمية بالشام لكي يتولى مقاليد الحكم في بلاد المغرب بعد أن تأكد لأبي عبد الله الشيعي من استقرار الأمور، ونجاح الدعوة في البلاد (الغنيمي، 1994، ص.61).

3.1 قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:

نتيجة التطورات التي عرفتها الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، والتي توجت بنجاحها في تثبيت دعائم الحكم في القيروان بواسطة زعماء القبائل الكتامية، بالإضافة إلى بسط نفوذ الشيعي في أرجاء عديدة من بلاد المغرب (طقوش، 2007، ص.74) دفعت هذه الأمور بعبيد الله المهدي إلى التوجه نحو بلاد المغرب تلبية للدعوة التي وجهها إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي (المقريزي ت.، 1996، ص.119)، ولم يكن الطريق نحو بلاد المغرب سهلا على عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم، إذ علم الخليفة العباسي بخروجه من سلمية بالشام إلى بلاد المغرب، فأصدر أمر بالقبض عليه وعلى أتباعه (القاضي النعمان، 2005، ص.98-99)، فوصل إلى مصر، فما كان على عبيد الله المهدي سوى أن يتخفى في زي التجار، وكان والي مصر آنذاك عيسى النوشري، وصله كتاب من الخليفة العباسي يأمره بالقبض عليه، ولم يجد عبيد الله المهدي من حل سوى تقديم الأموال من أجل المرور في البلدان التي تخضع وتدين بالولاء والتبعية للخلافة العباسية في بغداد، وهذا ما فعله كذلك مع عامل مصر عيسى النوشري، وواصل عبيد الله المهدي زحفه إلى بلاد المغرب، فبلغ برقة، ومنها إلى طرابلس، وفي طريقهم إلى إيكجان، بعث أبو العباس (المقريزي ت.، 1996، ص.60-61) وجماعة من الكتاميين إلى الداعي أبو عبد الله الشيعي يبشره بقرب ظهوره ويخبره أنه في طريقه إليه، فعلم زيادة الله بأمرهم وألقى القبض عليهم، وكان عبيد الله المهدي يتقدم باتجاه إيكجان حيث وصل إلى حدود كتامة، ثم تراجع عن الذهاب إليها، واتجه نحو سجلماسة لأنه علم بسجن أبي

العباس(طقوش، 2007، ص.76)، ويذكر القاضي النعمان بقوله:(فلما انتهى إليه أن أخا أبي عبد الله قد اعتقل، وأنه علم أنه من أصحابه، خاف إن قصد إلى أبي عبد الله أن يتحقق ذلك عليه فيقتل، فترك القصد إلى أبي عبد الله، وقصد إلى سجلماسة...) (القاضى النعمان، 2005، ص.99-100)، بالإضافة إلى التطورات العسكرية بين الأغالبة والقبائل الكتامية هي التي أجبرت عبيد الله المهدي على تغيير خططه والتوجه إلى سجلماسة، لأنه بحاجة إلى مكان يوفر له الأمان، وينتظر فيه نتائج هذه التطورات، فرأى أن إمارة بني مدرار هي التي توفر له المأوى المؤقت (طقوش، 2007، ص.76)، وصل عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم إلى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار، فأكرمه وكسب تقديره وعامله معاملة حسنة، لأن عبيد الله المهدي قدم له أموال، وهي طريقته المعهودة ليأمن الوقوع في أيدي الحكام وسجنه، إلا أن هذا الصفاء لم يدم طويلا حيث وصل كتاب من زيادة الله يخبره بأن الرجل الذي يدعو إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي عندك، فقام بالقبض عليه وسجنه (المقريزي ت.، 1996، ص.62).

وأما الداعي أبو عبد الله الشيعي فقد أسقط دولة الأغالبة، واستولى على عاصمتهم رقادة، وكان ذلك سنة(296هـ/909م) (القاضى النعمان، 2005، ص.149-150)، واستخلف عليها أخاه أبو العباس، وتوجه إلى سجلماسة لتخليص عبيد الله المهدي (ابن عذاري، 1983، ص.152)، وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي دينار:(فاهتزت له المغرب وخافته زناتة وقبائل العرب والبربر المخالفون له، فطلبوا منه أمانا) (ابن أبي دينار، 1986، ص.52)، وأتاه محمد بن خزر الزناتي أمير قبيلة زناتة إلى طبنة يسأله الأمان، فأمنه وأخذ عليه العهد، وأطلق سبيله، ثم واصل سيره إلى سجلماسة (القاضى النعمان، 2005، ص.168) حتى وصل إلى مدينة تيهرت التي خضعت له، ومنح سكانها الأمان، إلا أنه قتل عددا كبيرا من أهلها، وبذلك قضى على الدولة الرستمية في بلاد المغرب، ثم سار نحو سجلماسة ، ولما وصل إلى سجلماسة قام بحصارها(ابن عذاري، 1983، ص.153) إلا أن الداعي أبو عبد الله الشيعي خشي على إقدام اليسع بن مدرار عن قتل عبيد الله المهدي (ابن خلدون، 2000، ص.454)، فبعث له برسل وأبلغه بعدم رغبته في القتال، وأنه قدم لحاجة وليس للحرب (ابن الاثير، 2006، ص.460)، إلا أن اليسع بن مدرار قام بقتل الرسل، وأصر على المواجهة العسكرية، فلم يصمد طويلا أمام جيوش الداعي أبو عبد الله الشيعي، فتغلب عليه (القاضى النعمان، 2005، ص.170)، ودخل المدينة وأطلق سراح عبيد الله المهدي وابنه، أما اليسع بن مدرار فقد لاذ بالفرار تحت جنح الظلام متوجها نحو الجنوب (ابن أبي دينار، 1986، ص.52)، وتمت مبايعة عبيد الله المهدي بيعة عامة في سجلماسة، وسلم إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي الأمر (مؤنس، 2004، ص.145)، ثم سار إلى القيروان، وهكذا نجح الشيعة الإسماعيلية في إقامة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وكان ذلك سنة (297هـ/910م) (طقوش، 2007، ص.77)، وانقرض ملك بني الأغلب بالمغرب الأدنى، وملك بني المدرار بسجلماسة، وملك بني رستم بتيهرت (ابن خلدون، 2000، ص.455).

وبعدما أُخذت البيعة لعبيد الله المهدي بسجلماسة أقام بها أربعون يوما، ثم توجه إلى إفريقية مع عدد من رجال كتامة في حفل كبير من العساكر، ووصل إلى إيكجان (ابن الاثير، 2006، ص.460) فأقام بها، وكانت هذه الإقامة بمثابة إعلان عن بداية عهده (طقوش، 2007، ص.77)، وسلم له الداعي أبو عبد الله الشيعي ما كان بها من الأموال التي جمعت من قبل الدعاة (ابن الاثير، 2006، ص.460)، فجعلها أحمالا وأخذها معه إلى رقادة، وكان ذلك سنة (297هـ/910م) (ابن الأبار، د.ت، ص.197)، لما اقترب منها تلقاه أهلها وأهل القيروان بالترحاب، واستقبل من طرف أتباعه من الشيعة، وعلى رأسهم أبو العباس أخو الداعي أبو عبد الله الشيعي ورؤساء قبيلة كتامة (ابن خلدون، 2000، ص.47)، وسلم عليه فقهاء وشيوخ القيروان فدعوا له، وسألوه الأمان فقال لهم:(أنتم آمنون في أنفسكم وذراريكم)(ابن عذاري، 1983، ص.158)، و تمت مبايعته البيعة العامة، ثم نزل في قصر من قصور رقادة ومن معه، واتخذها حاضرة له، وأمر بأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وبذلك تسلم مقاليد الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بصفة رسمية (ابن الخطيب، 1964، ص.51)، بعد مبايعته بالإمامة كان لابد عليه من تنظيم أمور الدولة الفاطمية، فقام بوضع تنظيمات سياسية وإدارية ودينية، تضمن لدولته الأمان والاستقرار والاستمرار، وقد حدد سياسته في خطابه التقليدي، وأنه سيكون عادلا في سياسته مع الرعية (طقوش، 2007، ص.79).

وشرع عبيد الله المهدي في توزيع المهام التي تكفل له تثبيت أركان دولته، وتأمين الهدوء والتوسع في الخارج، حيث أرسل عمالا إلى الولايات المختلفة، واختارهم من زعماء القبائل الكتامية، وممن يثق بهم من أهل المغرب الذين أظهروا الولاء والطاعة للإمام (ابن الاثير، 2006، ص.461)، وأمر أبو عبد الله الشيعي بجعل بلاد المغرب تحت سلطة الدولة الفاطمية، حيث تمكن سنة (298هـ/911م) من إخضاع بعض بلدان المغرب الأوسط والأقصى، والقبائل الزناتية المتمركزة في جنوب بلاد كتامة، الذين دخلوا في طاعته (السنوسي، 2016، ص.179)، والجدير بالذكر أنه خلال أربع سنوات من تولية عبيد الله المهدي على رأس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب واجهته عدة ثورات، هددت استقرار الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ففي سنة(315هـ/928م) اضطربت المغرب حسب قول ابن خلدون، فبعث عبيد الله المهدي ابنه أبو القاسم مع جيش قوي من كتامة وأولياء الشيعة، فاستطاع بعد اصطدام كبير مع القبائل الزناتية أن يعيد للفاطميين الكثير من نفوذهم في المنطقة، فقد فر محمد بن خزر وأصحابه وتمكن أبو القاسم من فتح مزاتة ومطماطة وهوارة، ونواحي تيهرت قاعدة المغرب الأوسط ورجع إلى المهدية وفي طريقه أسس مدينة المسيلة (ابن خلدون، 2000، ص.50-51).

2. تأسيس الفاطميين لمدينة المسيلة:

1.2 روايات حول تأسيس مدينة المسيلة:

لقد عثرنا على العديد من الروايات حول تأسيس مدينة المسيلة والتي مازلت تتداول إلى يومنا هذا بين سكان المنطقة في تفسيرهم سبب تأسيس، ومن بين هذه الروايات هناك رواية تنص على وفود شخصية دينية مرموقة أو ما تعرف بالوالي الصالح من المغرب الأقصى، وهو صاحب إلهام روحي ورباني وكان ينوي بناء مسجد في الموقع الذي تقف عنده جماله، وهذا الموقع الذي حل به هذا الرجل الرباني أصبح بعد تأسيس المسجد نواة المدينة الجديدة، وقد لقب بين أهالي المنطقة "بوجملين"، والمسجد مازال إلى يومنا هذا (Massiera, 1941,p03)كما أن هناك رواية أخرى تدور حول قدوم شخص من خيبر بالحجاز شخص يدعى "تليس" حيث استقر على الضفة اليسرى من وادي القصب، والذي يعرف بوادي سهر سابقا وبني له ولمرافقيه بعض المباني التي أحاطت بها فيما بعد مساكن وتجمعات أخرى، وخلال الهجمات التي قام بها الخوارج وهم جماعة خرجوا عن على بن أبي طالب رضي الله عنه في حرب الصفين، التي كانت بينه وبين معاوية بن أبي صفيان ورفضوا التحكيم، استقروا بالنهروان (الشهرستاني، 1992، ص.106-107)، هدمت المباني وصارت خربة، اشتقت منها اسم "خربة التليس" وهو الحي الذي يقع على الضفة اليسرى لوادي القصب حاليا جنوب القنطرة الرابطة بين الضفة الغربية والشرقية لمدينة المسيلة (بن قربة، 2009م، ص.11).

وهذه الروايات مختلفة فيما بينها، إلا أن معظمها ترجع تأسيس مدينة المسيلة إلى القرن السابع ميلادي، ولا شك بأن التقارب اللغوي الذي فرضته هذه التسمية هو الذي دفع سكان المدينة إلى تداول مثل هذه الروايات والتي لا نرى فيها تطابقا لفظيا كليا، وفي الحقيقة هذه الروايات التي ارتبطت بتأسيس مدينة المسيلة لا تعتمد إلى نصوص تاريخية محددة وواضحة، بل هي مجرد روايات تداولها سكان المنطقة حاولت في أغلبها أن تربط بين الدلالات اللفظية وتسمية المدينة.

2.2 تأسيس مدينة المسيلة:

ويمكن القول أن بعد عام (296 هـ/ 909م) ظهر عبيد الله المهدي الفاطمي الذي اختلفت المصادر التاريخية حول نسبه هناك من يذكر أنه بن محمد بن جعفر الصادق بن مكتوم بن إسماعيل الإمام (القلقشندي و ابن خلدون، 2000، ص.118) بالمغرب الأوسط كشخصية على رأس سلطة سياسية ودينية، وكخصم قوي للإمامة الإباضية في بلاد المغرب التي تحكم تيهرت وهي مدينة بالمغرب الأوسط بينها وبين مدينة المسيلة ست مراحل (الحموي، د.ت، ص ص.07-08) والمجالات الإباضية ساهم وبشكل كبير في ظهور عدة مدن في المنطقة من بينها مدينة المسيلة (Feraud, 1871-1872,p.04)، ومن الواضح أن بوادر عداء القبائل الزناتية للدعوة الإسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر بن الصادق(الشهرستاني، 1992، ص.170) ظهرت منذ أن قام الداعي أبو عبيد الله الشيعي وكان الممهد لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وموطد أركانها (ابن حماد و ابن الاثير، د.ت، ص.19) في إيكجان ناحية بالمغرب من بلاد البربر، تسكنها القبائل الكتامية أقام بها الداعي أبو عبد الله الشيعي ويسميها دار الهجرة (الحميري، 1975،

ص.71)، واشتد هذا العداء بعد إسقاط الإمارة الأغلبية، وحدث أن أرسل أبو عبد الله الداعي وفدا إلى سجلماسة توجد في صحراء المغرب من أعظم من المغرب وهي في طرف الصحراء (الحميري، 1975، ص.305) في مهمة إلى عبيد الله المهدي، لكن أعضاء الوفد لقوا مصرعهم في طبنة تقع جنوب مدينة بريكة (لقبال، 1978، ص.83)، على يد جماعة من رجال زناتة، وقد اشتدت حركة مقاومة القبائل البربرية الزناتية للوجود الفاطمي بعد استيلاء الداعي على رقادة بلدة بإفريقية (الحموي، د.ت، ص.55) ثم دخوله تيهرت، وذلك نظرا لوقوع المدينة في قلب مضاربهم (طقوش، 2007، ص.139)، ومن هنا نستطيع القول أن العداوة بين الطرفين كانت هي بؤرة الصراع في سير الأحداث التاريخية في بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة (بن قربة، 2009م، ص.12)، فالسياسة التي اعتمدتها الدولة الفاطمية لإنجاح مشاريعها ومخططاتها في بلاد المغرب وفتوحاتها وتوسعاتها في المشرق، أحدثت نوع من القطيعة المذهبية والسياسية بينها وبين القبائل البربرية، ففي حدود سنة(311هـ/924م) تصدت قبيلة مغراوة هم بطن من بطون زناتة للسلطة الفاطمية في بلاد المغرب (الإدريسي، 1993، ص.158)، وألحقت الهزيمة بجيش عبيد الله المهدي، وقد زعزعت هذه الأحداث المغرب كله حسب ابن خلدون الذي ذكر أن السياسة الفاطمية المتمثلة في فرض الضرائب على السكان لفائدة حروبهمضد الاباضية، اضرتبالسكان اقتصاديا وهذا ما ادى الى قيام الثورات ضدهم (ابن خلدون وآخرون، 2000، ص.50)، وقد وجد الخليفة الفاطمي نفسه مجبرا على إرسال ابنه أبي القاسم (322هـ-334هـ/934-946م) إلى جبال سالات الذي يقع في بوسعادة ويعرف بجبل البربر (المقريزي، 1996، ص.84) حيث تتواجد قبيلة بني برزال بطن من بطون زناتة من بنى يفرن(ابن حزم وآخرون، د.ت، ص.495)، فعاد الاستقرار بالمنطقة ثم رجع أبي القاسم بن عبيد الله المهدي أدراجه نحو الحضنة ليؤسس في طريق العودة مدينة المسيلة (بن عميرة، 1984، ص.183).

3.2 ظروف تأسيس الفاطميين لمدينة المسيلة :

إن القبائل الزناتية وعلى رأسها قبيلة مغراوة بقيادة محمد بن خزر الذي كان من خصوم الفاطميين مواليا للدولة الأموية في الأندلس (الداعي إدريس، 1985، ص.179)، والقبائل البربرية الأخرى المستقرة بالمغرب الأوسط أو بمجالات الحضنة ذات الميول الخارجي الإباضي وهم فرقة كبيرة من الخوارج (الشهرستاني، 1992، ص.131)، أصبحت تشكل خطرا كبيرا على النفوذ الفاطمي في المنطقة، فكان على عبيد الله المهدي من إرسال حملة عسكرية بقيادة ولى عهده أبو القاسم للقضاء على هذه التمردات، وتتفق المصادر التاريخية على الظروف التي تم فيها تأسيس مدينة المسيلة ويجمعون على أن هذا التأسيس تم في طريق عودة أبي القاسم عبيد الله بعد إخضاعه للقبائل البربرية في المغرب الأقصى (النويري وآخرون، د.ت.، ص.60) ويذكر الهادي روجي إدريس أن الجيوش الفاطمية بعدما أحرزت عدة انتصارات على الأدارسة الذين تراجعوا في اتجاه المغرب الأوسط ومليلة، كما استطاعت مواجهة قبيلة مغراوة، وكان المغراويون يتنقلون تحت قيادة محمد بن خرز في جميع أنحاء المغرب الأوسط، وقد أعلنوا الثورة على

الفاطميين وقتلوا مصالة بن حبوس، فغادر أبو القاسم المهدية لتهدئة المغرب الأوسط وانتصر على المغراويين (روجي إدريس، د.ت، ص.42)، وقد قدم لنا الداعي إدريس تفاصيل كثيرة ومهمة عن هذه الحملة، وقد أورد أن أبا القاسم بعدما جهز جيشا كبيرا وحاشدا، وبدأ زحفه نحو المغرب في من شهر صفر سنة(315هـ/928م) (الداعي إدريس، 1985، ص.215-216)، وهذا ما ذكره كذلك لنا ابن الأثير بقوله:(...وسير المهدي العلوي صاحب إفريقية ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كبير في صفر، بسبب محمد بن خرز الزناتي... أنه ظفر بعسكر كتامة فقتل منهم خلقا كثيرا فعظم ذلك على المهدي فسير ولده...وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت...) (ابن الاثير، 2006، ص.36)، وأيضا ابن عذارى بقوله:(في سنة(315هـ/928م) خرج أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي من المهدية يريد المغرب...من صفر وكان طريقه على القيروان ، ثم نزل الأربس، فأقام بها أياما حتى اجتمعت إليه العساكر، سار إلى باغية ثم إلى كتامة وتقدم إلى جبل فيه بني برزال...) (ابن عذاري، 1983، ص.191).

واستطاع أبا القاسم القضاء عليها وفر محمد بن خرز في الصحاري، وفتح مزاتة وهم بطن من بطون البتر(ابن خلدون، 2000، ص.153) ومطماطة وهوارة وهم بطن من بطون البرانس (ابن خلدون، 2000، ص.185) وسائر الإباضية والصفرية وهي إحدى فرق الخوارج (الشهرستاني، 1992، ص.134) من نواحي تيهرت إلى ما وراءها (الداعي إدريس، 1985ص.215-216)، فلما رجع أبو القاسم من حملته وهو في طريقه إلى إفريقية خط برمحه في الأرض صفة مدينة، وسماها المحمدية أي أن أبا القاسم خط برمحه في الأرض شكل بنائها وهو راكب على فرسه، وسماها المحمدية (الزبيدي وآخرون، 1994، ص.42) وحسب ابن عذارى فإن أبا القاسم لما توجه إلى المغرب وجد مقاومة عنيفة عند جبل بني برزال ومنه توجه إلى الريف حيث تمكن من إعادة السيطرة الفاطمية على هذه المناطق، وبعد هذا الانتصار، عاد أبو القاسم إلى العاصمة سالكا الطريق الكبير الذي يمر على الهضاب العليا للحضنة، فأسس مدينة المسيلة (ابن عذاري، 1983، ص.191)، أما ابن حماد يقول:(هدن أبو القاسم المغرب، وقضى منه، المآرب وانصرف وفي الصرافة هذا مر بواد سهر وهو الوادي الذي تقع عليه مدينة المسيلة (الإدريسي وآخرون، 1993، ص.156) فاختط مدينة المسيلة ورسمها برمحه وهو راكب على فرسه...) (ابن حماد، د.ت، ص.24).

4.2 بناء وتعمير المدينة:

تولى بناء مدينة المسيلة علي بن حمدون بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسية، وهذا ما تذكره العديد من المصادر الجغرافية (ابن حوقل وآخرون، 1992، ص.85) التي تحدثت عن تأسيس مدينة المسيلة وتتفق على أنها محدثة فاطمية أسسها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي، في أوائل القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي وأوكل ببنائها لعلي بن حمدون، فيقول البكري:(...هي مدينة جليلة على نهر سهر، أسسها أبو القاسم بن عبيد الله... وكان المتولي ببنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور ألجذامي المعروف بابن الأندلسية)(البكري، د.ت، ص.59)، أما

ابن حوقل فيقول:(...المسيلة هي مدينة محدثة استحدثها علي بن حمدون الأندلسي أحد خدام آل عبيد الله وعبيدهم...)(ابن حوقل، 1992، ص.85) ، في حين المقدسي فلم يتوسع في ذكر المدينة ولم يتطرق إلى مؤسسها أو سنة التأسيس واكتفى فقط بذكر أنها من مدن الزاب بقوله:(... والزاب مدينتها المسيلة...)(المقديسي، د.ت، ص.181)، وقد اتخذها علي بن حمدون دارا ينزلها مع أهله (الداعي إدريس، 1985، ص.215) وقبائل عجيسة وهم بطن من بطون البرانس يقطنون ضواحي تونس والجبال المطلة على المسيلة وجبل القلعة (ابن حزم وابن خلدون، د.ت، ص495)، أما بشأن الشروع في بناء مدينة المسيلة فإن المصادر التاريخية تتفق على أن تأسيس المدينة يرجع إلى ولى العهد الفاطمي أبي القاسم عبيد الله المهدي، إلا أنها اختلفت في سنة التأسيس فهناك مصادر ذكرت سنة التأسيس سنة(313هـ/ 926م) (ابن عذاري وآخرون، 1983، ص.215)، ولكن معظمها جعلتها سنة (315هـ/928م) (ابن الاثير وآخرون، 2006، ص.36)، ومن الراجح أنه هو التاريخ الصحيح لتأسيس المدينة ذلك لأنه يتفق مع تاريخ خروج أبو القاسم بن عبد الله المهدي إلى المغرب الأقصى للقضاء على ثورات القبائل الزناتية المتمردة عن السياسة الفاطمية في بلاد المغرب (الداعي إدريس، 1985، ص.215).

5.2 الدوافع الحقيقية لبناء المدينة:

إن الدوافع الحقيقية التي جعلت أبي القاسم عبيد الله المهدي يقوم بتأسيس مدينة المسيلة كانت بعد انتصاره في المغرب الأقصى على القبائل البربرية الزناتية، هو تأمين الحدود القريبة ذلك أنه وهو في طريق العودة إلى المهدية، أدرك أن هذه القبائل سوف تعود للثورة من جديد (مرمول، 1980، ص.29)، وسوف تستغل هذه الفجوة لمهاجمتها لأن الحدود الشمالية الغربية آمنة للحلف القوي بين الفاطميين، والكتاميين فعند قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب كان البربر من أنصارهم خاصة قبيلة كتامة البربرية، فأخذوا بيد الفاطميين، منذ قيامهم على أيام عبيد الله المهدي، فلما تأسست دولتهم اتخذ خلفاء الفاطميين بطانتهم منهم وجعلوهم من أهل الدولة (جرجي زيدان، د.ت، ص.234)، كما أن الفاطميين لا يخشون شيئا من منطقة قسنطينة، الشيء الذي جعل أبو القاسم يتأكد من أن الخطر الزناتي أتى عن طريق الحضنة ومسالك الصحراء (بوطارن وآخرون، د.ت، ص.76) وهي مواطن لتلك القبائل المتنقلة من مكان إلى أخرى، في الواقع لا يمكن تحديد مواقع زناتة بنفس الدقة التي نحدد بها موقع قبائل صنهاجة مثلا، لأن زناتة غير مستقرة في مكان ما، بل هم رحالة ويحدث ذلك لأسباب عديدة إما بسبب الضعف، أو تجزئة السلطة السياسية والإدارة الناتجتين عن افتقار بلاد المغرب إلى الوحدة الجغرافية وإلى توزيع معقول لمختلف المناطق (بن عميرة، 1984، ص.17-23)، وبما أن سهول الحضنة من أهم المسالك المؤدية إلى إفريقية والمتغلب عليها يمكنه السيطرة على الطريق الرابط بين إفريقية وبقية بلاد المغرب، دفع أبو القاسم إلى بناء حاضرة عسكرية بإمكانها صد تمرد القبائل الزناتية على الدولة الفاطمية وحماية حدود الدولة من جهة الحضنة والصحراء (بوطارن وآخرون، د.ت، ص.76).

وقد ذكرت العديد من المصادر الجغرافية بعض المسالك المؤدية إلى المسيلة، كابن حوقل الذي يذكر الطريق الرابط بين المسيلة وإفريقية مرورا بمقرة وهي المدينة التي تقع في الجهة الشرقية من حوض الحضنة (سليماني وآخرون، 2008، ص.10-11) وطبنة وطريق آخر من القيروان إلى المسيلة يمر على بلاد كتامة والأربس (ابن حوقل، 1992، ص.86-87)، أما الإدريسي فذكر الطريق الرابط بين المسيلة وتلمسان وهو الطريق الذي يؤدي إلى المغرب الأقصى (الإدريسي، 1993، ص.156) ، وبذلك أصبحت المسيلة تحظى بمكانة مميزة في شبكة الطرق المؤدية إلى المغرب.

ويبدوا أن تأسيس مدينة المسيلة واختيار موقعها، كان محل تفكير عميق من طرف مؤسسها أبو القاسم عبيد الله المهدي، فالظروف السياسية والعسكرية السائدة في تلك الفترة تتطلب منه التركيز أكثر والتمعن في الخطوات التي يخطوها لتحقيق هدفه في إخضاع القبائل البربرية المستقرة في منطقة الحضنة وضواحيها والمناطق الأخرى في بلاد المغرب الأوسط(قرمان، 2009، ص33)، حيث توقع أبا القاسم ازدياد خطر تلك القبائل البربرية على سلطانهم في بلاد المغرب، لذلك عمد إلى بنائها في وسط بعض بطون وفروع تلك القبائل، يقول الإدريسي في هذا الشأن:(ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته وهذه الأخيرة إحدى بطون لواتة (القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، 1982، ص.172) ومزاتة)(الإدريسي وآخرون، 1993، ص.156) والتي تسيطر على السهول الشمالية للمنطقة حتى وادي القصب، بينما قبيلة عجيسة على جبال المعاضيد (بوطارن وآخرون، د.ت، ص76).

ومن الواضح أن بعد العاصمة المهدية عن المنطقة، صعب على الفاطميين التحكم فيها وفرض سلطتهم عليها، هذا ما دفع أبو القاسم إلى وضع أسس قاعدة مجالية جديدة في إقليم الحضنة مهمتها كذلك مراقبة مضارب زناتة وفروع البتر، وحماية النفوذ الفاطمي في المنطقة (قرمان، 2009، ص.33)، وعند الشروع في تأسيس مدينة المسيلة، قام أبو القاسم بن عبيد الله المهدي بنقل بعض القبائل البربرية التي تسكن المنطقة من مكان بنائها إلى فحص القيروان لأنه كان يتوقع الخطر منها أكثر من غيرها (ابن خلدون والنويري، 2000، ص.51)، وهذا ما أكده المقريزي بقوله:(وكانت خطة لبني كملان ، فأخرجهم منها إلى فحص القيروان، كالمتوقع منهم أمرا، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه...) (المقريزي، 1996، ص.72) ويذكر الصالح مرمول أنها سياسة تهجير قصرية للسكان التي اعتمد عليها الفاطميون في بعض الأحيان، إذا ما رأوا في ذلك مصلحة سياسية وعسكرية للدولة الفاطمية، وقد منع عبد الله المهدي عامة الناس من السكنى في المهدية، وخصص لهم ضاحية من ضواحيها هي زويلة، ومن ثم أصبحوا وكأنهم تحت الإقامة الجبرية، ففي النهار يقصدون المهدية التي توجد بها دكاكينهم ومحلاتهم التجارية ليمارسوا بها مختلف أعمالهم، وبالليل يعودون إلى أسرهم بزويلة وقد قال له بعض المقربين إليه، أن رعيتك في عناء فقال له: لكنني أنا في راحة لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم، فأنا آمن غائلتهم بالليل والنهار، وبذلك يتجنب أي خطر يهدده ولو على حساب مصلحة الرعية (مرمول، 1980، ص.29)،

فنقل القبائل البربرية إلى فحص القيروان كان لتسهيل مراقبتهم والتحكم فيهم، بعدما لمس أبو القاسم العداوة الشديدة لهذه القبائل للفاطميين وبذلك لم يبق في المنطقة سوى قبيلة عجيسة، التي عمرت المدينة الجديدة بعد اكتمال بنائها (بطيب، 2009، ص.29).

6.2 اختيار الفاطميين لموقع بناء المدينة:

يرى سعيد ناصف أن اختيار الموقع الذي ستقام عليه المدينة يمثل الخطوة الأولى والهامة في بناء هذا النوع من المدن، ولذلك كان لا بد للخليفة أن يختار مكانا متوافقا بقدر ما تسمح به الظروف مع طبيعة البلاد (ناصف، د.ت، ص.54)، وقد وفق أبو القاسم عبيد الله في اختيار مكان تأسيس مدينة المسيلة، خاصة إذا علمنا أن البيزنطيين وأسلافهم الرومان، كانوا قد اختاروا بالقرب من المدينة، وفي الناحية الجنوبية الشرقية لها وعلى بعد ثلاثة كيلومترات موقعا أسسوا عليه مدينة حصينة تدعى زابي تقع في الجهة الشمالية الغربية من شط الحضنة على بعد 3كلم شرق مدينة المسيلة (Feraud, 1871-1872, p.327-328) تشغل مكانها اليوم مدينة بشيلقة الحالية.

لقد بنيت مدينة المسيلة بنواحي بلاد الزاب من أرض المغرب (الزبيدي وآخرون، 1994، ص.41) بين سهول الحضنة في الجهة الجنوبية، وجبال المعاضيد في الجهة الشمالية وبين طبنة شرقا وأشير غربا على الطريق الرابط بين إفريقية والمغرب (اليعلاوي، 1975، ص.48)، وقد اختير للمدينة موضع في بسيط من الأرض، على الضفة اليسرى لوادي القصب، وقد كان يسمى في تلك الحقبة بوادي سهر، يقول البكري:(وهي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر) (البكري وآخرون، د.ت، ص.59) بينما صاحب الاستبصار (الإستبصار، د.ت، ص.172) يذكر أن:(مدينة المسيلة، في بسيط من الأرض على نهر كبير يسمى بسهر ومنبعه من مدينة الغدير) (الإدريسي وآخرون، 1993، ص.162)، وكانوا يطلقون على وادي سهر اسم وادي الريس، وفيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض، وليس بالعميق (المغربي، د.ت، ص.126)، كما وصفه الإدريسي بقوله:(وهو عذب، وفيه سمك صغير، وأهل المسيلة، يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير، فاحتمل إلى قلعة بني حماد ، وبينهما اثنا عشر ميلا) (الإدريسي، 1993،ص.156)، وبالتالي تقع المسيلة على مقربة من وادي كبير، وسط منظومة مائية حضرية وريفية هامة على ما يبدو فهي مزودة بساقية، بمعنى منشآت مائية قادرة على توفير كميات هامة من المياه لسكان المدينة، وهذا ما توضحه تحصينات المدينة (محمد حسن، 2004، ص.107)، وكان المتولي ببنائها"علي بن حمدون"، هذا الأخير الذي أتقن بناء المدينة وحصنها (ابن خلدون، 2000، ص.51)، وهذا ما اتفق عليه الكثير من المؤرخين، لكنهم اختلفوا في وصف تحصيناتها (مرمول، 1980، ص.30)، فمثلا ابن حوقل الذي زار بلاد المغرب، وعاصر فترة الخلافة الفاطمية، فيصف مدينة المسيلة بقوله:(...وعليها سور حصين من طوب...) (ابن حوقل، 1992،ص.85)، في حين يذكر

البكري أن للمدينة سوران:(...عليها سوران، بينهما جدول ماء، جار يستدير بالمدينة، وله منافذ يسقي منها عند الحاجة...) (البكري، د.ت، ص.59).

ومن الواضح أن قول البكري له قيمته، حسب محمد الصالح مرمول حتى يمكن تفجير ماء الجدول الذي يحيط بها في وجه العدو المهاجم وعرقلة تقدمه (مرمول، 1980، ص30)، فمن المؤكد أن السور الخارجي يلعب دورا مهما في حماية المدينة من الأعداء بينما السور الداخلي يحمي القناة من التبذير، وكانت وظيفته تموين سكان المدينة بمياه الشرب، ويستخدم كاحتياطي لوقت الحاجة وقد زودت هذه القناة بقنوات لتوصيل المياه للمدينة (بوطارن وآحرون، د.ت، ص.79)، وعلى الأرجح أن هذا الاختلاف يعود إلى التفاوت الزمني في وصف المدينة، إذ يبدو أن ابن حوقل قد زار المدينة في بداياتها، وما خالفه به البكري يعود إلى التطور الذي شهدته المدينة في الفترات اللاحقة وعليه يفترض المنطق أن المدينة أحيطت في البداية بسور واحد، أضيف إليه سور ثان في فترة لاحقة وأحيط بجدول ماء (شهاب، 2009، ص126)، وقد ارتبطت الرغبة في تأمين المدن وحمايتها بالظروف السياسية التي صاحبت نشأة المدن، وانعكست على اختيار مواقع المدن وتحصيناتها، ومن هنا كان اتخاذ السور حول المدينة أمرا هاما، حيث تبلورت الدلالة العسكرية للسور، الذي يعني أمن وأمان المدينة (عبد الستار عثمان، 1988، ص.96).

وبذلك أصبحت مدينة المسيلة بعد إن استكملت تحصيناتها، ومرافقها العاصمة السياسية والإدارية في إقليم الحضنة، متجاوزة في ذلك مدينة طبنة عاصمة الزاب القديمة، التي فقدت مكانتها لصالح المسيلة التي أصبحت المركز التجاري والحضاري لإقليم الزاب وبذلك فهي تمثل نقطة جذب لسكان المناطق المجاورة مما زاد في اتساعها وازدهار أوضاعها عامة (شهاب، 2009، ص.126).

3. إشكالية الموقع وتسمية المدينة:

هناك إشكالية حول موقع المدينة وتسميتها والتي لم تستطع المصادر التاريخية المطلع عليها الإجابة عليها، ونعني بها العلاقة بين اسم مدينة المسيلة التي أسسها الفاطميين في المغرب الأوسط وبالضبط في إقليم الحضنة، وأطلقوا عليها اسم المحمدية نسبة إلى مؤسسها محمد القائم بن عبيد لله المهدي، واسم زابي أي المدينة الرومانية والتي تعرف كذلك بزابي جوستنيان(zabi justiniana) وتعرف حاليا ببشيلقة، ومن جهة أخرى مدينة المسيلة البربرية الأصل والتي تقع بالقرب من وادي القصب (وادي سهر سابقا)، لقد ذكرنا سابقا أن أبو القاسمبن عبيد الله المهدي لما أمر ببناء المدينة سماها المحمدية تخليدا لاسمه كما فعل أبوه عبيد الله المهدي عند تأسيسه لمدينة المهدية، وقد جعل لها بابين إحداهما باب القاسمية نسبة إليه لأن كنيته أبو القاسم وسمى الأخرى باب الأمور (ابن حماد وبن قربة، د.ت، ص24) لتكون المدينة سدا منيعا لتقدم القبائل الزناتية من جهة الحضنة.

وهنا يمكن التساؤل لما لم يتخذ أبو القاسم من بقايا حصن زابي قلعه له وقام بتأسيس مدينة جديدة بالقرب منها، وبشأن هذا يجيب فيرو (Feraud) أنها كانت مندثرة ولو كانت موجودة لما كلف العاهل

الفاطمي نفسه بتأسيس مدينة أخرى جديدة على بعد ثلاث كيلومترات من المدينة القديمة، فحسب قوله أن المدينة تعرضت لتهديم لان سكان المناطق الجبلية التي تحيط بالحضنة كانوا دائمي الثورة منذ العهد البيزنطي ومن الممكن أنهم تمكنوا من دخول زابي وتخريبها (Feraud, 1871-1872, p.324)، ومن المؤكد أن مدينة زابي تعرضت للتخريب في خضم الثورات المتتالية، وهناك تفسير آخر يرجع تهديم زابي إلى القتال الذي دار بين الكاهنة وحسان بن النعمان حيث يقول ابن أبي دينار:(فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا ففر حسان منهزما وقتل من العرب خلق كثير وأسرت من أصحاب حسان ثمانين رجلا...إن جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وأمده عبد المالك بالمال والرجال وفر راجعا إلى إفريقية، فلما سمعت به الكاهنة بعثت إلى عمال إفريقية كلها وقطعت أشجارها وخربت بساتينها، علما أن العرب لا يطلبون إلا المدن وإذا خلت المدن لم يكن لهم أرب في إفريقية)(ابن أبي دينار، 1986، ص.32)، وأن أبا القاسم لما وصل إلى المنطقة وأراد تأسيس مدينة جديدة، لم تكن مدينة زابي قائمة فلو كانت كذلك لما أسس مدينة المسيلة على بعد ثلاثة كيلومترات منها (بوطارن وآخرون، د.ت، ص.77)، إلا أن الجغرافي الكبير البكري الذي كتب عنها بعد مائة وخمسين سنة من تأسيس المدينة هذا القول بقوله:(وبقلبي مدينة المسيلة موضع يعرف بالقباب، فيه قباب من بنيان الأول، وعلى مقربة منها مدينة للأول خربة يقال لها: بشيلقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأول إليها...)، حيث يذكر القباب وبشيلقة على أنهم موضعين مختلفين لكن في الحقيقة أنهما موضع واحد (البكري، د.ت، ص.59)، معنى هذا أن بقايا المدينة القديمة زابي كانت موجودة وعلى حالة جيدة من الحفظ وأن أبا القاسم اختار موقعا بالقرب منها وأطلق عليه اسم المحمدية، كما جرت العادة عند الأمراء والقادة المسلمين، عندما يريدون تأسيس مدينة أن يؤسسوها على أرض بكر لتكون المدينة إسلامية كما هو الحال في القيروان والمهدية (بوطارن وآخرون، د.ت، ص.78)، إلا أن اسم المحمدية لم يعمر طويلا بعد موت مؤسسها وغلب عليها اسم المسيلة (ابن حماد و آخرون، د.ت، ص.24).

ويبدو أن الكثير من المؤرخين يربطون بين الاسم الروماني زابي(بشيلقة) ومدينة المسيلة وكأنها اسم لموقع واحد، وهو المدينة الرومانية الواقعة على بعد ثلاث كيلومترات شرق مدينة المسيلة (سليماني، 2007، ص.55)، وهذا ما يؤكده حسن الوزان بقوله أن المسيلة:(مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا داخل الأراضي، على بعد نحو مائة وأربعين ميلا من بجاية والأسوار المحيطة بها جميلة، بخلاف الدور فإنها قبيحة والسكان كلهم صناع أو فلاحون)(الحسن الوزان، د.ت، ص.52)، وهذا ما يؤكده مرمول كربخال عندما يتكلم على مدينة المسيلة فيقول:(هي مدينة عتيقة في طرف نوميديا، يحيط بها أسوار جيدة عتيقة من بناء الرومان، كانت هذه المدينة في قديم عهدها وعمرها بعد ذلك سكان فقراء لا يتخلصون من ذل أعراب تلك الجهات وعنفهم) (كربخال، 1988-1989، ص.381)،ومن وصف زابي من قبل المؤرخين بما فيها البكري يبين لنا أن آثار المدينة كانت ظاهرة في عصر تأسيس المسيلة نقصد بها المدينة الفاطمية المحمدية، بدليل آثار منشآت الري الباقية إلى اليوم والتي تعود حسب المؤرخين

الفرنسيين أمثالFeraud et Maiessera إلى الوجود الروماني بالحضنة (سليماني، 2004-2005، ص.73-74)، وعليه فإن زابي كانت موجودة عند بناء مدينة المحمدية لأن آثارها مازالت شاهدة عن تلك الفترة إلى يومنا هذا.

أما مدينة المسيلة البربرية الأصل والتي تقع على حواف وادي سهر وهناك روايات ربطت اسم مدينة "المسيلة"، إلى كلمة المسيل أو مدينة المياه السائلة وهذه التسمية مرتبطة بتعدد المجاري المائية التي تتوفر عليها المنطقة منذ عصور قديمة، والدليل على ذلك وجود بقايا آثار قديمة تعود إلي الفترة الرومانية تمثلت في قنوات المياه والسدود والأحواض لسقى الأراضي الزراعية أو تزويد المنطقة بمياه الشرب مثل وادي القصب ووادي لقمان ووادي اللحم (بيرم وFeraud، 2007، ص.138)، فنجد(Maiessera) مثلا يذكر بأن تسمية المدينة لها علاقة وطيدة بطبوغرافية موقعها، وذلك لقربها من مسيل الماء ,Massiera) (1941 ,p.09، وعلى الأرجح أن موقع المسيلة القديم كان غير الموقع الذي أقيمت عليه المدينة المحمدية الفاطمية التي اختطها أبو القاسم الفاطمي وهو على فرسه بمنطقة (الأشياخ) حاليا، ونستدل على ذلك من البقايا الأثرية للأواني الفخارية والنقود الفاطمية التي عثر عليها بها، بينما بقيت المسيلة القديمة في الموضع الذي عمر بعد خراب، والذي بقي يحمل اسم "خربة تليس" (بيرم، 2009، 09)، وهذا ما ذكر سابقا في الروايات حول تأسيس مدينة المسيلة، والحقيقة أن هذه الدراسات لا تستند إلى دليل تاريخي محدد فتبقى مجرد فرضيات تاريخية.

ولقد أشار الداعي إدريس أن اسم المسيلة كان يطلق على قوم يسكنون بين باغاية وسطيف وهم" أشراف مسيلة بني عيسى" وقد نزل عندهم أبو القاسم في أثناء حملته الكبرى بالمغرب (الداعي إدريس، 1985، ص.216)، ويذكر الهادي روجي إدريس أن المدينة بنيت على أساس بلدة صغيرة تسمى المسيلة (روجي إدريس، د.ت ص.47) بينما نجد ابن حيان يشير إلى أن الموضع الذي بنى فيه الفاطميون مدينتهم كان يقال له "المسيلة" بقوله:(الموضع يقال له المسيلة كان الشيعي... قد بنى فيه مدينة وترك فيها رابطة من أصحابه...رجلا أصله من الأندلس...اسمه علي يشتهر بالأندلسي...) (ابن حيان، 1979، ص.259)، وكما يبدو أن المنطقة لم تكن في حالة فراغ بشري استدعى تعميرها، بحيث كانت تسكنها قبائل بربرية وهذا ما يؤكده قول الإدريسي:(...ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة...) (الإدريسي، 1993، ص.156)، وكذلك المقريزي بقوله:(...وكانت خطة لبني كملان، فأخرجهم منها إلى فحص القيروان...) (المقريزي، 1996، ص72) أما ابن خلدون فيفصل في ذلك قائلا أن أبو القاسم بن عبيد الله:(مر بمكان بلد المسيلة وبها بنوكملان من هوارة، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القيروان... ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسماه المحمدية)(ابن خلدون والنويري، 2000، ص.51)، من خلال قول ابن خلدون يتضح أن مدينة المحمدية الفاطمية بنيت على أنقاض مدينة المسيلة البربرية.

وهذا يدل على أن المسيلة البربرية الأصل كانت موجودة قبل تأسيس الفاطميين لمدينة المحمدية، حيث نجد فرضيتين: إما أن أبو القاسم قد بناها في مكان المدينة البربرية بعد ترحيل سكانها وهذا ما ذكره ابن خلدون أو أن المدينتين تربطهما علاقة الجوار فقط وكضاحية جديدة بناها الفاطميين في إقليم الحضنة، وبطابع عمراني وتحصين جديد إلى جانب المسيلة والتي تعتبر امتداد للوجود البربري في الحضنة، وبذلك اسم المسيلة سابق لنشأة المحمدية والوجود الفاطمي ككل في بلاد المغرب، ومع ذلك تبقى إشكالية الاسم قائمة لم تفصل فيها المصادر التاريخية التي كتبت عن المنطقة كما أننا لم نعثر على اسم المسيلة في الكتابات التاريخية القديمة ولا حتى في النقوش الأثرية الرومانية، ماعدا الكتابات الأجنبية الحديثة خاصة عند الضباط الفرنسيين الذين قاموا بعمليات بحث وتنقيب في المنطقة، إلا أنهم ربطوا اسم المسيلة البربرية الأصل بالمدينة الرومانية زابي والتي عرفت كذلك بزابي جوستنيان، بالتالي فالمسيلة لم تكن سوى مدينة تتواجد بالقرب من حصن روماني يسمى زابي وأنها كانت نواة لظهور وتوسع المدينة الإسلامية الفاطمية والتي عرفت باسم المحمدية إلى جانب المسيلة التي استمر اسمها في الكتابات التاريخية واختفى اسم المحمدية (بيرم، 2007، ص.143).

الخاتمة:

خلصنا من خلال هذه الدراسة التي قمنا بها حول المنجزات العمرانية للدولة الفاطمية في بلاد المغرب الأوسط وتأسيسها لمدينة المسيلة إلى جملة من النتائج نوجزها في مايلي:

- الواضح أن اختيار الفاطميين لبلاد المغرب لنشر أفكارهم الشيعية المتمثلة في المذهب الإسماعيلي لم يكن من محض الصدفة والمفارقة، بل كان بتخطيط مسبق من قبل دعاة الإسماعيلية في المشرق، واختيارهم قبائل كتامة لمعرفتهم المسبقة بهذا المذهب.
- إن مدينة المسيلة اكتسبت أهميتها الإستراتيجية منذ تأسيسها الأمر الذي دفع بمؤسسها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي إلى اتخاذها قاعدة عسكرية لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، كما اعتبرت حاجزاً امنياً يصد خطر القبائل الزناتية التي تهدد استقرار الفاطميين، مما جعل المدينة عند تأسيسها تأخذ طابع المدن العسكرية ويتبين ذلك من خلال الدوافع الفاطمية لبنائها.
- تمتعت مدينة المسيلة على العموم منذ نشأتها بقسط وافر من أسباب الحضارة والمدنية حيث أصبحت من أهم المراكز الحضارية التي ساهمت مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإسلامية بالمغرب الأوسط خاصة حيث تمكنت من تحقيق رغبات الخلفاء الفاطميين وإظهار المستوى الرفيع في خدمة الخلافة الناشئة.
- أهمية مدينة المسيلة جعلتها العاصمة السياسية والإدارية لإقليم الزاب في عهد الدولة الفاطمية حيث ازدهرت وتطورت في جميع جوانب الحياة وقصدها العلماء والشعراء من كل أنحاء المغرب الإسلامي.

قائمة المراجع:

1) ابن أبي دينار. (1986). كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس (الإصدار 1). تونس: مطبعة الدولة التونسية.
2) ابن الخطيب لسان الدين. (1964). تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (من كتاب أعمال الأعلام)،. (أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار الكتاب.
3) أبو الحسن بن على ابن الاثير. (2006). الكامل في التاريخ (المجلد 6،7). (محمد يوسف الدقاق، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
4) أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي. (د.ت). كتاب الجغرافيا. (إسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5) أبو العباس أحمد القلقشندي. (1982). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (الإصدار 2). (إبراهيم الأبياري، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
6) أبو العباس أحمد القلقشندي. (د.ت). صبح الاعشى في صناعة الإنشا (الإصدار 5). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
7) أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (1992). الملل والنحل (الإصدار 2، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
8) أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار. (د.ت.ط). الحلة السيراء (المجلد 2). (حسين مؤنس، المترجمون) القاهرة، مصر: دار المعارف.
9) أبي محمد بن أحمدبن سعيد الأندلسي ابن حزم. (د.ت.ط). جمهرة أنساب العرب (الإصدار 5). (عبد السلام محمد هارون، المترجمون) القاهرة، مصر: دار المعارف.
10) أبي مروان القرطبي ابن حيان. (1979). المقتبس. (ب.شالميتا، وف.كورينطي، و وم.صبح وغيرهم، المترجمون) مدريد، إسبانيا: المهد الإسباني العربي للثقافة.
11) بن محمد الفاسي الحسن الوزان. (د.ت). وصف إفريقية (المجلد 1). (محمد حجي ومحمد الأخضر، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
12) بيرم كمال. (2007). حول اسم ونشأة مدينة المسيلة: مساهمة تاريخية. مجلة الآثار ، 1 (1)، الصفحات 131-143.
13) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي. (1996). اتعاظ الحنفا بأخبارالأئمة الفاطميين الخلفا (الإصدار 2، المجلد 1). (جمال الدين الشيال، المحرر) القاهرة، مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

14) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي. (1997).المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية(المجلد 2). (محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.

15) جرجي زيدان. (د.ت). تاريخ التمدن الإسلامي (المجلد 4). بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

16) حسين مؤنس. (2004). معالم تاريخ المغرب والأندلس. مصر: مكتبة الاسرة.

17) الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت. (د.ت). معجم البلدان (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار صادر.

18) سعاد سليماني. (2004-2005). منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة(رسالة ماجستير). 73-74. الجزائر: معهد التاريخ.

19) سعاد سليماني. (2007). الملف الأثري لموقع زابي معطيات جديدة. مجلة الآثار ، 11 (01)، الصفحات 55- 73.

20) سعاد سليماني. (2008). ملفات أثرية بإقليم مدينة مقرة دراسة لموقعي خربة مالك. مجلة دراسات ، 5 (9)، الصفحات 09-34.

21) سعيد ناصف. (د.ت). المدينة الإسلامية دراسة في نشأة التحضر. القاهرة، مصر: مكتبة زهراء الشرق.

22) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقديسي. (د.ت.ط). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. (محمد أمين الضاوي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

23) شهاب الدين أحمد النويري. (د.ت). نهاية الأربفي فنون الأدب (المجلد 24). (عبد المجيد ترحيني، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

24) صالح يوسف بن قربة. (2009). تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي (الإصدار 2). الجزائر، الجزائر: منشورات حضارة الجزائر.

25) الصنهاجي ابن حماد. (د.ت). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. (جلول أحمد البدوي، المحرر) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

26) عبد الحليم عويس.(1985) . قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي (الإصدار 1) القاهرة, مصر: دار الصحوة.

27) عبد الرحمان ابن خلدون. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المجلد3، 4، 6،7). بيروت، لبنان: دار الفكر.

28) عبد القادر قرمان. (2009). مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي. دفاتر الملتقى ،الصفحات 33- 34.

29) عبد الله بن عبد العزيز البكري. (د.ت). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. القاهرة، مصر: دار الكتاب الإسلامي.
30) عماد الدين القرشي الداعي إدريس. (1985). تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب(القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار). (محمد اليعلاوي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
31) الغنيمي عبد الفتاح. (1994). موسوعة تاريخ المغرب الإسلامي (الإصدار 1، المجلد 3). القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي.
32) فرحات الدشراوي. (1994). الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات (الإصدار 1). (حماد الساحلي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.
33) القاضى النعمان, ا. ح.(2005) . كتاب افتتاح الدعوة. بيروت, لبنان: منشورات موسى الأعلمي للمطبوعات.
34) كمال بيرم. (2009). كيف إرتبط اسم Zabi justinana بالمسيلة القديمة. مجلة صناع النجاح (02)، الصفحات 09- 11.
35) مبارك بوطارن وآخرون. (د.ت). الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
36) محمد الصالح مرمول. (1980). نشأة مدينة المسيلة وتطورها. مجلة سيرتا معهد العلوم الاجتماعية (04)، الصفحات 27-34 .
37) محمد اليعلاوي. (1975). بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني الأندلسي. مجلة الاصالة (24)، الصفحات 48-61.
38) محمد بن عبد المنعم الحميري. (1975). الروض المعطار في خبر الأقطار (الإصدار 1). (احسان عباس، المحرر) بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.
39) محمد بن عميرة. (1984). دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي. الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.
40) محمد بن محمد الإدريسي. (1993). القارة الإفريقية وجزيرة الاندلس. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
41) محمد جمال الدين سرور. (د.ت). تاريخ الدولة الفاطمية. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
42) محمد حسن. (2004). الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ (فصول في تاريخ الموقع والمسالك والمجالات) (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
43) محمد سهيل طقوش. (2007). تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام(297-567هـ/910-1171م) (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار النفائس.
44) محمد عبد الستار عثمان. (1988). المدينة الإسلامية. الكويت: عالم المعرفة.

45) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (1994). تاج العروس (الإصدار 2، المجلد 8). (عبد العزيز مطر وعبد الستار أحمد فراج، المترجمون) الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
46) المراكشي ابن عذاري. (1983). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (الإصدار 3). (ج.س كولان، و وليفي بروفنسال، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الثقافة.
47) مرمول كربخال. (1988-1989). إفريقيا (المجلد 2). (محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق، و أحمدبنجلون، المحررون) الرباط، المغرب الاقصى: دار النشر للمعرفة.
48) موسى أدم صالح السنوسي. (نوفمبر, 2016). الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وجهود المعز لدين في بسط سيادتها على مصر. مجلة جامعة السلام (03).
49) موسى لقبال. (1978). طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى. الأصالة (60-61)، الصفحات 43-54.
50) مؤلف مجهول. (د.ت). كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار. (سعد زغلول عبد الحميد، المترجمون) بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
51) النصيبي أبي القاسم والإدريسي ابن حوقل. (1992). صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
52) نهلة شهاب. (2009). دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
53) الهادي روجي إدريس. (د.ت). الدولة الصنهاجية(تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12) (المجلد 2). (حمادي الساحلي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
54) هوارية بطيب. (2009). المكانة الجيوسياسية التى شكلتها مدينة المسيلة المحمدية في الإستراتيجية الفاطمية. دفاتر الملتقى ، الصفحات 29-31.

قائمة المراجع بالأجنبية:

1- Feraud, C. (1871-1872). Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj – Bou-Arreridj –M'sila e Bousaada. Recueil des Notices et Memoires de la societe archeologique de la province de Constantine , pp. 327-328.
2- Massiera, p. (1941). M'sila du Xe au XVe siècle. Bulletin de la societe historique et geographique de la region , p. 03.